النقد الأدبي، والنقاد الجزائريون
رؤية في الهوية، واختراق المرئي.

Literary criticism, Algerian critics vision in identity, visual penetration.

سميرة تقيدة [*1]؛ توفيق قحام.[2]

[1]- جامعة محمد الصديق بن يحيى؛ جيجل (الجزائر).

- البريد الإلكتروني: *Samira.taguida@univ-jijel.dz*

[2]- جامعة محمد الصديق بن يحيى؛ جيجل (الجزائر).

- البريد الإلكتروني: *toufikgueham5@gmail.com*

تاريخ الإرسال: 2024/01/07؛ تاريخ القبول:2024/03/09؛ تاريخ النشر:2024/06/15.

الملخص:

ألقت، ومازالت الهوية، والبحث عن قضية الانتماء بظلالها على الدرس النقدي الجزائري، بحكم عدة اعتبارات أهمها: الاعتبارات التاريخية، والدعوة المستمرة إلى المقاومة، والتوجس من الآخر، لذا كان لزاما تتبع المتن الشعري والروائي، وتوجيهه للكشف عن خبايا هذه القضية التي أرقت الكثير من الباحثين المتمرسين، والمطلعين على إجراءات، وأدوات المناهج الحداثية، والما بعد الحداثية بعدما فقهوا التراث، وقتلوه دراسة.

يقوم النقد بكشف الاستراتيجيات التي يتبعها المبدع، ويعمل على رصد أفكاره، وتصوراته، التي يمررها تحت حيل البلاغي،

*المؤلف المراسل.

فيتلقفها الناقد، ويخضعها للحفر المعرفي لتعرية الأنساق المرتبطة بالجانب الأيديولوجي، والسياسي والتاريخي، ولهذا اعتبر الناقد الجزائري تيمة الهوية إشكالية جديرة بالدراسة، وإعادة الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الناقد الجزائري؛ الدرس النقدي؛ الهوية؛ التاريخ؛ الأنساق.

Abstract:

Identity and the search for the issue of belonging have cast a shadow over Algeria's critical lesson, given several considerations: historical considerations persistent advocacy of resistance and anxiety, so it was necessary to follow poetry and novelism, and to direct it to uncover the invisibility of this issue which has shed many seasoned researchers, insiders of procedures, modernist curriculum tools, and after modernism.

The criticism reveals the strategies followed by the creator and monitors his thoughts and perceptions, which he passes under the rhetorical tricks, and the critic poses them, subjecting them to cognitive digging to erosion of the ideological, political and historical lines, which is why the Algerian critic considered the orphanage of identity a problem worth studying and re-studying.

Keywords: Algerian critic; monetary lesson; identity; history; consistency.

مقدمة:

يدفعني التخصص دفعا إلى التركيز على المتن الروائي الجزائري الذي يعتبر مسرحا خصبا تختزل فيه الحياة بكل تناقضاتها، وتطرح فوق صفحاتها إشكالات تستحق البحث، والتنقيب، إنها الفضاء الرحب الذي يتناول القضايا التي يمنع المركز تداولها جهرا، فتفصح ببلاغة عن المسكوت عنه، وغير المرئي. وأسعى في هذه الورقة البحثية الإجابة عن جملة من التساؤلات التي فرضت نفسها، ونذكر بعضها:

*المؤلف المراسل.

هل الرواية عبر مراحلها تبوح بكل مكونات الهوية؟ وهل استطاع الناقد الجزائري أن يبحث من خلال الرواية عن الذات المشتتة؟ وهل استطاع كشف الصراع الداخلي لعوالم الهوية؟ إلى أي نوع انتصرت الرواية الجزائرية للهوية الأصل، أم للهوية التي صنعها الآخر؟ هادفة من وراء هذه الأسئلة إلى الكشف عن تمظهرات الهوية، وتيمة التاريخ في الرواية، وتأثيرهما على شخصية هذا الجزائري داخل الوطن، وخارجه.

ولعل من الأسباب التي دفعتني لمثل هذا الموضوع هو شغفي العلمي لكل ما له علاقة بقضية الهوية، وكذا علاقته بمجال بحثي المتعلق بالدراسات الما بعد الكولونيالية، ورغبتي الملحة في الكشف عن المسكوت عنه.

يعتبر الأدب من أرقى أشكال التعبير الإنساني، فهو الوعاء الذي يوضع فيه محتوى الثقافة (قناة جيدة التوصيل، فإن استثمارها بشكل صحيح يمكن أن يروي عطش النفوس التواقة إلى تأنيث الحياة بقيم دافئة ناعمة، وعملية مستنبتة من الحاضر، ومطلة على المستقبل) (الدهام، 2020).

ولهذا يعمل المبدع على استغلال هذه القناة بأفضل السبل الممكنة يبث فيه من روحه، ومشاعرة المتضاربة، فيتلقفه قارئ تواق للوصول إلى محطة المجهول، وكشفه للعيان، ولعل أكثر ما استهوى القارئ، والناقد الجزائري ما زرع في الرواية الجزائرية منذ الاستقلال إلى يومنا هذا، وأهم تلك البذور هي البحث عن الهوية من خلال استنطاق التاريخ، إنها (الحاجة إلى ممارسة الوجود، ممارسة تتضمن تقدما إلى الأمام بأعظم مجازفة ممكنة) (كونديرا، 1998، ص: 125)

*المؤلف المراسل.

مجازفة لن تتحقق إلا من خلال الرواية لأنها كيان قائم بذاته يشبه وجودها وجود المؤسسة.

يؤكد رتولت بريشت، (بالألمانية: *Brech Bertolt* وتكتب أيضا بريخت على أهمية الأدب في صنع الوجود الموازي للواقع المعاش فيقول:(نحتاج إلى مسرح يستغل الأفكار، وينتجها حتى تلعب هي نفسها في تغيير العالم) (غنيمي هلال، 1955، ص: 164)، فتوالد الأفكار ليس بالأمر الهين، وتلقيها ليس مطروحا في الطريق، بل يحتاج إلى مخاض عسير، وبيئة هادئة مناسبة.

جسدت الرواية الجزائرية منذ نشأتها كل التحولات السياسية، والاجتماعية التي مر بها المجتمع الجزائري خاصة بعد الاستقلال بدء بغادة أم القرى لصاحبها رضا حوحو التي فضحت الممارسات العبودية ضد المرأة، مرورا برواية الطالب المنكوب للشافعي، والتي تقدم لنا أنموذجا آخر من معاناة الجزائري وما يعانيه خارج الوطن إلى الحريق لمحمد ديب، ثم توالت الإصدارات التي تلقفها الدارسون، والنقاد بالدراسة، والتحليل، وجلهم إن لم نقل كلهم يتوقفون عند تيمة الهوية، والتاريخ لأن (ما يدفع الروائي إلى البحث في الماضي هو تعرفه فيه على نفسه، إنه يقوم بفرز ما يمكن أن يفهم، وما يمكن أن ينسى للحصول على تمثيل الوضوح داخل الحاضر) (البصير، 1986، ص: 35).

1- نمو الحركة النّقديّة الجزائريّة:

ومنه فأن الحركة النقدية الجزائرية تمثل شحنات فكرية قابعة في جيوب الذاكرة، منبه معرفي عابر يثير استجابتها ويدفع روادها إلى البحث، والتقصي (فبعد أن استرجعت الجزائر سيدتها دخلت في جو من التغييرات القاعدية ومكنت العشر سنوات الأولى التي أعقبت

*المؤلف المراسل.

الاستقلال الروائيين الجزائريين من الانفتاح الحر على اللغة العربية المعاصرة، وجعلتهم يلجؤون إلى الروائية للتعبير عن تضاريس الواقع بكل تفاصيله، وتعقيداته سواء كان ذلك بالعودة إلى مرحلة الثورة، أو الغوص في الحياة المعيشية الجديدة التي تظهر ملامحها في التغيرات التي طرأت على الحياة السياسية، والاقتصادية، والثقافية) (بتقة، 2014، ص: 5) وهذه القراءة النقدية تؤكد فهم الناقد الجزائري لكل تغيير طرأ على جنس الرواية خصوصا، فكل مرحلة ولها أيديولوجيتها، وطريقتها في استدعاء التاريخ، ورسم ملامح الهوية فالهدف الأساس هنا هو (إعطاء هوية للذي يحي بواسطته، هروبا من النسيان الذي رسمه الآخر على جسده) (البصير، 1986، ص: 35)، فتلك الهوية معشوقة المبدعين، وغاوية للناقدين ترسم ذاكرة تأبى النسيان، وتقاوم الآخر الذي يعمل على تشتيتها.

يحيلنا الناقد محمد مصايف بعد دراسته لرواية اللاز لصاحبها الطاهر وطار على أنها (في محتواها العام، وفي اتجاهاتها الأيديولوجية، والسياسية في الأدب الجزائري الحديث) (علوش، 1983، ص: 27) فالناقد الجزائري منذ مرحلة التأسيس إلى يومنا هذا يعمل عل تتبع العملية الإبداعية ، والوقوف عند أدق تفصيلها لتحقيق مسعى التوجيه، أما رواية ريح الجنوب التي هي حسب الباحثين أول عمل رائد، ومكتمل الأركان، فتبرز قيمتها في كونها (أسست لاتجاه الكتابة الروائية الجزائرية، والذي يميل إلى التجسيد الواقعي لأحوال المجتمع الجزائري من خلال وصف القرية، وعادات أهلها، ونفسياتهم، كما رصدت هموم الفلاح الجزائري، ومشاكله مع الأرض) (عثمان، 1993، ص: 101؛ طعيمة و الناقة، 2009، ص: 59) ، وليس ببعيد عن هذا

*المؤلف المراسل.

المسعى الأدب المكتوب باللغة الفرنسية كثلاثية محمد ديب، ونجمة لكاتب ياسين، وابن الفقير لمولود فرعون، وغيرها كلها خضعت للتنقيب، والنبش في تضاريس اللغة للوصول إلى نتيجة بديهية، وهي أنها كلها تتحدث عن ألم الجزائري وحرمانه، وسيطرة الفقر عليه.

2- النّاقد الجزائري، وقضية الهويّة:

البحث عن موضوع الهوية *identity* مهمة شاقة لأنها (منظومة متماسكة من السيمات المشتركة بين أعضاء الجماعة تميزها، وتجعلها تعتز بذاتها) (شاوش، 2007، ص: 32)، فالهوية بالدرجة الأولى مكوناتها ثقافية تتدخل في صياغتها الأرض والتاريخ، وأحلام الإنسان وتطلعاته .

يعمل الناقد الجزائري منذ تلقيه لأي عمل إبداعي تمييز أنواع الهوية:

هوية اجتماعية ⟵ متعلقة بجماعة الانتماء.

هوية وطنية ⟵ الانتماء للأرض.

هوية ثقافية ⟵ متعلقة بمكونات الثقافة (قحام، 2022/2021 ، ص: 2).

والجدير بالذكر أن الهوية الثقافية في الجزائر مازالت تقف موقف المقاوم للعولمة، وتجاذباتها المائلة إلى التفكيك والتشتيت. فأكثر ما يعرضها للاختراق هو تفكيك المنظومة الحضارية لأي أمة، فالتقليد الأعمى للآخر يزعزعها فيبث ازدواجية الانتماء، وهذه أحد المآخذ على الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية، لأنها مازالت تطرق؛ إشكالية الهوية حيث كان على كتابها خلق مسافة لتأمل التاريخ، ونقد الذات من خلال نقد الآخر (فإذا كان الآخر الفرنسي هو المركز

*المؤلف المراسل.

في الرواية الاستعمارية، فالأنا أي الأهلي هو الهامش. في هذا النص الجديد ولد إنسان جديد) (بن صالح، 2011، ص: 22) فرواية نجمة هي الأنا، هي الوطن، هي الإنسان الجزائري، هي الهوية المشتتة، الحائرة، العاجزة مقابل المركز القوي المتحد.

تناول النقاد الجزائريون على اختلاف مشاربهم هذا الأدب على رأسهم الناقد، والباحث عبد الله الركيبي الذي نبه إلى هوية الأدب المكتوب باللغة الفرنسية، والذي يمتاز بخاصية الازدواجية اللغوية، لكنه يصنفه ضمن الأدب الجزائري عامة، وجملة القول أنه يرى (أن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية قد أوجد لظروف وأسباب في مرحلة معينة، وهو إن كتب بلغة أجنبية فإنه عبر عن مضمون جزائري، وواقع وطني، الأمر الذي يجعل منه أدبا محليا وطنيا) (الركيبي، 1983، ص: 249)، أما الناقد عبد المالك مرتاض فينكر ذلك باعتبار أن اللغة أهم مكون للهوية، كما أن هؤلاء المبدعين أمثال مالك حداد، رشيد بوجدرة، وياسمينة خضراء، وغيرهم يبدون إعجابهم بلسان الغالب، ويؤكدون بذلك تبعية المغلوب فيقول:(لقد ظل هؤلاء الكتاب في معظمهم معجبين كل الإعجاب بالحضارة الفرنسية بوجه خاص، وبالحضارة الغربية بوجه عام جاهلين بالتاريخ العربي، غير ملمين بمعالم الحضارة الإسلامية، إذ آن أن يدركوا شيئا من ذلك، وهم محرومون من الإلمام الكافي بلغتهم التي بواسطتها يطلعون على التراث العربي، وكنوز حضارته الغنية بمعطياتها الإنسانية) (مرتاض، 1983، ص: 25).

وينفي عن هذا جزائريته، بل وأكثر من ذلك فقد وصفه بأنه (أدب غريب في نفسه، منفي عن موطنه الذي كتب فيه، ولم يستطع

*المؤلف المراسل.

أن يلعب دورا كبيرا في نهضة الأدب المعاصر بالجزائر فضلا على أنه يلعب دورا خطيرا في إذكاء نار الثورة التي قيضت للشعب الجزائري أن يكسر قيود الاستعمار الثقيلة) (مرتاض، 1983، ص: 6)، وهذا معناه أن هوية النص تكمن في مضمونه، وفي الأداة التي كتب بها.

إن خلق هوية مشتركة تصمد في وجه العواصف لابد أن تولد بعيدا عن المصالح الاقتصادية، أو في جماعة المهزومين ثقافيا، وهنا فقط يمكن أن (تسمى ثقافة تلك العناصر التي ترقى من مستوى القوة إلى مستوى الفعل، ومن مستوى الكمون إلى مستوى الظهور، أي تلك التي تمارس فعاليتها في السلوك، وتطبع تصرفاتها بطابعها، وتتحكم في كيفية رؤيتنا للظواهر، وشعورنا بها، تلك التي توجه مواقفنا، وتؤلف المزيج الخاص الموظف لتكوين نظرتنا للكون، والحياة) (تورين، 2010، ص: 307). فالوعي النقدي بالحياة عنصر أساس من عناصر الهوية، والناقد هو الذي يكشف مكوناتها، وتفاعلها، فيوجهها، ويعدل مسارها، فالبحث مثلا عن ماهية العلاقة بين الأنا والآخر (الأنا المشتركة، أنا الجماعة هي أثناء تحديدها كوعي بالذات الجماعية يقتضي عمومية الاسم، على خلاف الأنا الفردية التي تتطلب تمييزه، واختلافه، ذلك أن الأنا الكبرى المشتركة هي أنا الشعور بالانتماء إلى مجتمع له مميزاته، وهو ما يعبر عنه بمفهوم الهوية) (سعدي، 2000، ص: 16).

فالمهم هو ارتباط الأنا الفردية بأنا الجماعة ضمن حدود الانتماء الواحد، ونبذ التفرد الذي يؤدي إلى التشتت، والتشرذم.

لقد نادى رواد البنيوية التوليدية بضرورة ربط الأدب بالأيديولوجيا التي تميز بين أنواع الهويات، وأكثرها تأثيرا في المجتمع

*المؤلف المراسل.

(فالمتكلم في الرواية هو دائما، وبدرجات مختلفة منتج أيديولوجيا، وكلماته هي دائما عينة أيديولوجية، واللغة الخاصة برواية ما يقدم دائما وجهة نظر خاصة للعالم) (باختين، 1985، ص: 105)، وهذا التصريح لمخائيل باختين ينطبق مع هرم واسلو للحاجات الإنسانية والذي يمثله الشكل التالي:

الحاجة إلى تحقيق الذات ←(شعور الأنا بالحياة).

الحاجة إلى تقدير الآخرين ← (حاجات اجتماعية مشتركة).

الحاجة إلى الحب، والانتماء ← (تحقيق الهوية).

الحاجات الأمنية ← (الأمن، والاستقرار).

حاجات غريزية ←(ماء، هواء، طعام، مسكن)←(حجات يشترك فيها الانسان والحيوان).

فالحاجات الاجتماعية هي أرقى أنواع الحاجات على الإطلاق ففيها يحدث التفاعل، والاحتكاك الذي تنمو فيه الهوية، وتعزز ذاتها وهذا ما أكده إدوارد سعيد بقول: (الهوية لا يمكن أن توجد بمفردها، ومن دون ثلة من النقائص، والنواقي، والأضداد، فالإغريقيون يقتضون البرابرة، والأوربيون يقتضون الأفارقة، والشرقيين...) (إدوارد ، 1997، ص: 119).

وهذا الموقف يبرز بقوة عند طرح فكرة صدام الحضارات، الذي يراد منه إزالة الحضارات التقليدية لصالح الحضارة الغربية، والتي يخفى من وراءها ممارسات إمبريالية تعمل على الترويج لفكرة أوهام الهوية (بايار، 1998، ص: 8)، والهويات القاتلة (معلوف، د س ن، ص: 19).

3- النّصّ، والمقاومة:

*المؤلف المراسل.

لا تنجح عملية التصدي، والمقاومة التي يقوم بها النص، أو الخطاب إلا بتحديد المنهجيات، والإجراءات التي تسمح للفعل الثقافي المحلي بالظهور، والانتشار، والانتقال إلى مشروع المثاقفة التي يقر عز الدين المناصرة بأن جوهرها المقارنة، والاحتكاك، والتفاعل، ولأن الرواية هي مجال اختصاصي، وهي أيضا المجال الأكثر رحابة أين يسمح المجال للاشتغال على اللغة، لأن الكتابة رؤية، واستراتجية تعمل على اختراق الثوابت من حين لآخر لخلخلة آليات الحكي ،على الناقد الجزائري توجيه الفعل الكتابي، ولن يتحقق ذلك إلا إذا استطاع توجهه، وتمكن من أدوات المنهج الذي ينتصر له، ويراه مؤهلا للكشف عن الماورائي.

بات من الضروري التركيز على التأسيس النظري، والمنجزات التطبيقية لأن النص يخضع لسلطان الواقع، وهذا السلطان يخضع بدوره لسياقات متعددة تشكل معنى النص، والقارئ ملزم أثناء عملية التلقي بالحفر في تضاريس النص للكشف عم يخفيه المبدع من وراء رصفه للكلمات، حيث (يقوض التحديث السردي الأشكال النمطية السائدة، ويضيف مظهرا تجريبيا يتجاوز به الرواية الواقعية، ويفتح آفاقا دلالية احتمالية باستخدام الخاصية الميتاسردية لتوليد المعنى، وإتاحة مستويات متعددة من التأويل، ,,,، من أجل كشف فوضى الوجود المعاصر، ويفضح زيف الوهم المهيمن على الوعي البشري) (باعيش، 2012، ص: 1).

فالنص يقع بين فعلين أساسيين هما: فعل الكتابة، والخلق، والتصوير، ورسم، والوجود من خلال التخييل، وفعل القراءة، والتلقي، والكشف، وجعل الما ورائي قريب من الفهم، والإدراك، فأثناء

*المؤلف المراسل.

الكتابة يعمل المبدع على تلغيم النص، وتحميله حمولات غير متوقعة ليستفز قدرات القارئ الحصيف، فيفاجئ الجمهور بقراءة غير متوقعة، ويصل بنا إلى شواطئ معرفية لم تكن في الحسبان.

يعتبر النص نداء، والقراءة تلبية لهذا النداء، وهكذا فالتفاعل بين القراءة، والكتابة على أشد ما يكون التبادل إذ لا وجود لأي منهما إلا بوجود الآخر(الواد، د س ن، ص: 70).

ويتعلق الأمر كله بكفاءة وخبرة القارئ، واستعابه للعملية إذ نحن أمام ثلاث أنواع من القراءات، والقراء، وهي على النحو التالي:

- الميتاسردي (*metacrecit*) خطاب يصف العملية الإبداعية نظرية، ونقدا، ويعنى بعوالم الكتابة الواقعية والتخييلية.
- القراءة التفاعلية ⟵ القارئ التفاعلي.
- القراءة التوافقية ⟵ القارئ التوافقي.
- القراءة التصادمية ⟵ القارئ التصادمي.

إن الإستراتيجية التي يجددها القارئ هي التي تعين كيفية تعامله مع المقروء، وترسم الحدود التي تقف عندها (مفتاح، 2000، ص: 84).

فالقارئ إذن مطالب بالانتقال من المعنى الظاهر إلى المعنى المضمر، وذلك بتمكنه منهجيا، وأداتيا، ولغويا، لأن (النص الغني أدبيا هو النص الذي يستطيع أن يتلقى، ويفهم، ويحس به بطريقة تختلف عن تلك التي أرادها الكاتب بوعي، والتي يمكن أن يلاحظها موضوعيا ناقدها) (حجار، د س ن، ص: 24).

*المؤلف المراسل.

فالناقد ذو الكفاءة يتقن لعبة القراءة من تحت السطور، فيكشف المخبوء (فالنص هو السطح الظاهري لنسيج الكلمات المستعملة، والموظفة فيه بشكل يفرض معنى ثابت، وواحد إلى حد بعيد) (بارث، 1989، ص: 21).

لكن النقد الجديد الما بعد البنوي كالنقد الثقافي الذي أولى عناية بالغة بالنسق المضمر، ويخفيه البلاغي، والجمالي.

4- جهود الناقد الجزائري، واتجاهاته في استنطاق النص الجزائري:

لقد تطرقت في ورقتي هذه على الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية لأن معظم الدارسين إن لم نقل كلهم تناولوها من كل الجوانب، وفي هذه الدراسات تبدت العقبات جلية أمام الحركة النقدية التي اتسمت في النصف الأول من القرن العشرين بالضعف، حيث وصف محمد السعيد الزاهري المشهد الثقافي يومها بالمتذبذب، تداخلت فيه المؤثرات الأدبية بالمؤثرات النقدية، وفي هذا السياق يعترف عبد الله الركيبي باختلاط المفاهيم، والمصطلحات، فأصبح الأديب ناقدا، والناقد أديبا.

لقد وضع واسيني الأعرج بانوراما للسرد الروائي الجزائري في كتابه الموسوم (اتجاهات الرواية العربية في الجزائر) ورغم أهمية الكتاب إلا أنه سجلت عليه بعض المآخذ كأي تجربة في البداية، ففي هذا المؤلف ركز على الطرح الموضوعاتي بسبب ضعف التجربة النقدية في تلك الفترة، وقدم دراسة تاريخية، واجتماعية، لأنه اعتبر الكتابة كشف أيديولوجي خاصة في تلك الفترة، فهي تمثل فضاء الذات، وتمثلاتها الاجتماعية، والانتمائية في الكتابة الإبداعية، وذلك من خلال النسق الاجتماعي.

*المؤلف المراسل.

من خلال قراءة نقدية موجهة، ومتعمقة يظهر للقارئ أن واسيني الأعرج قد أغفل الجانب النسقي لتلك المتون، وحسب قرائتي فإن هذا الإغفال قد حرم المتلقي من الولوج إلى عوالم النص المذهلة، كما لم يكن توجها استشرافيا تستفد منه رواية الأزمة بعد ذلك.

وإذا تتبعنا محتوى كتاب أحمد منور الموسوم أزمة الهوية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية (دراسة أدبية) حيث يعترف في مقدمته على اتصاله بالأدب المكتوب بالغة الفرنسية منذ أن بدأ يقرأ هذا الأدب سواء مترجما، أو في سخته الأصلية، ويفصح عن السبب الرئيس الذي دفعه إلى كتابة هذا المؤلف، وحوله من مجرد قارئ استهلاكي إلى مترجم، ودارس، وهو قلة اهتمام الدارسين الجزائريين به، وكأنه وصمة عار في تاريخ الأدب، فقد استطرد في دراسته لقضية الهوية، والانتماء، هوية الأدب، وأصل الكاتب، ولغة الكتابة.

ولعل من نافلة القول أن نعترف بأن هؤلاء المبدعين لحظة إبداعهم كانوا يتوجهون بخطاباتهم إلى القارئ الفرنسي في المقام الأول متأثرين بقانون الغالب، والمغلوب، خاصة عندما يمعنون في إظهار خطاباتهم بمظهر المحايد لقارئ غير محايد لأن النص الروائي كان يقوم بدور إعلامي للتعريف بما حدث في الجزائر(التأريخ للحظة ضمنيا).

والمتصفح لذاك الأدب يدرك أن هؤلاء المبدعين اختاروا مخاطبة القارئ الفرنسي بمشاعر إنسانية بعيدة عن الأيديولوجيا، أين يغيب القارئ الجزائري، ثم إن هذا المتن لم يأت نتيجة احتكاك حضاري، أو تبادل ثقافي، وإنما جاء يحمل سؤال وجوده، وإشكالية هويته بعد الاستقلال، مما دفع إلى ظهور جيل جديد من القراء لم يعد يهتم بسؤال، وجدوى الكتابة باللغة الفرنسية معترها غنيمة حرب، ومن

*المؤلف المراسل.

حقه الاستفادة منها، إلا أن السؤال ظل، ومازال يطرح نفسه: ماذا أضاف الدب المكتوب باللغة الفرنسية؟ وكيف يتم خلق الارتباط الشعوري، والتفاعل الانتمائي الذي لا يكون إلا من خلال اللغة الأصلية؟ إنه أدب يفتقد لروح اللغة التي تنتج العاطفة الناتجة عن المكون التواصلي الذي يربط الذات بمجتمعها.

بعد الانفجار المنهجي، وتهاطل المناهج النقدية الحداثية على الدارس الجزائري ظهر جيل جديد من الباحثين الذين نقلوا النص إلى عوالم أخرى مخالفة تماما لما كان سائدا نذكر منهم عبد المالك مرتاض الذي كان في البداية انطباعيا، ثم تاريخيا ثم نقل لنا المنهج البنوي وذلك من خلال منجزاته التي تجلت فيها آليات البنيوية خاصة في دراسته للألغاز الشعبية، والأمثال الشعبية، وقد عد النص الأدبي من أين، وإلى أين؟ بين النقد التقليدي وأخر حداثي نصي، ويعترف الرجل بأنه انزلق إلى المناهج الحداثية بفعل القلق المعرفي الذي يساهم في إنتاج المعرفة، فهي تتيح للناقد إنتاج نظرية جديدة تساعده على انتقاء الأنسب، والأصلح، فهو يزاوج بين النظري، والتطبيقي، أين دعا إلى التركيب المنهجي، ويرى أنه لا حرج في النهوض بتجارب جديدة الاعتماد على مناهج متعددة بعد التخمة التي بلي بها النقد، وتجرعه منهجا تلو المنهج، فالتوليفة المنهجية تخدم نصوصنا.

لم يتوقف مرتاض عند البنوية، وإنما خاض في مجال السيميائية في كتابه ألف ليلة، وليلة، وفي قصيدة: أين ليلاي؟ واعتبر رائد التفكيكية في الجزائر بعدما درس ألف ليلة، وليلة سميائيا، وتفكيكيا وصل فيها إلى نتائج مذهلة خاصة في الجانب المتعلق بحمال بغداد، أين أعاد القراءة في الكثير من المسلمات، والآراء

*المؤلف المراسل.

السابقة ويرى بأنها كرنفال فلكلوري يلتقي فيه ثقافات العرب بالهند، والفرس، وشعوب أخرى، وهي نصوص لقيتة، ويرى بأنها في رأيه حكايات بغدادية الدار، راشدية العهد، عربية الثقافة، تبدأ من بغداد، وتنتهي في بغداد، وهي قراءة لم يسبق لها قبله.

وليس ببعيد عنه جهود عبد الحميد بورايو الذي تبنى البنيوية في كتابه: القصص الشعبي في منطقة بسكرة قدم فيها قراء حداثية، وأسهم بعدة قراءات معتمدا على المنهج السيميائي خاصة في مؤلفه منطق السرد، حيث أخرجها من دائرة القراءة التقليدية، وهو صاحب مشروع نقدي قائم على: التأسيس، والتأصيل، والممارسة والترجمة، وأثناء تتبع مساره النقدي نجده قد تأثر بشاعرية تودوروف، وباختين، كما له ست مرجعيات هي: بروب ستروس، لوسيان غولدمان، تودوروف، غريماس، وبريمون، واستثمر كثيرا في تحليلاته للنصوص آليات الموذج السردي، والدلالة العميقة، الدلالة السطحية، والفاعلين، والبنى، ويعد عبد الحميد بورايو ثاني اثنين ثارا على المناهج التقليدية في قراءته في الأجساد المحمومة لاسماعيل غموقات.

يعتبر رشيد بن مالك القارئ العربي غير قادر على هضم آليات المنهج السيميائي بسبب فصل الجهود عن الأسس الإبستمولوجية، وعدم استعاب المناخ الذي ولدت فيه، فركز على جهود غريماس من خلال كتابه مقدمة في السيميائية السردية، كما ساهم عبد القادر فيدوح من خلال دلائلية النص الأدبي، وكتابه الرؤيا، والتأويل في تبصير القارئ الجزائري للخطابات بأنواعها، وأيضا ساهم حسين خمري في تبسيط هذا المنهج الذي ظل مستعصيا على الباحثين، أما يوسف وغليسي فقد استفاد نظريا، وتطبيقيا من طروحات غريماس،

*المؤلف المراسل.

وقد تعددت أدواته الإجرائية فنجده قد نوع في هذا المسار انطلاقا من كتابه من اللانسونية إلى الألسنية، ورصد المصطلح النقدي الذي هو أول عقبة تصادف القارئ في احتكاكه مع النصوص في كتابه إشكالية المصطلح، كما اقتحم الأسلوبية في ضلال النصوص، وهي جهود مستمرة لإثراء الساحة النقدية الجزائرية، هذا بالنسب للرعيل الأول الذي لم يهتم في البداية إلا بمواكبة الحركة النقدية الغربية، وتبسيطها، وفقه مصطلحاتها.

ثم من جهود هؤلاء انبثق ثلة آخرون أتموا تلك الجهود، وعلى أيديهم توضحت هوية النقد والناقد الجزائري وذهبوا بعيدا بالدرس النقدي، وانتقلوا من المناهج الحداثية إلى ما بعد الحداثية، وسبروا أغوار النص بآليات وأدوات تحترم هوية المتن الإبداعي، وخصوصيته نذكر منهم في مجال الشعر الناقد محمد الصالح خرفي الذي سبق معاصريه في طرحه للفضاء النصي، وعنايته بكل ما يخص الشعر الجزائري قديمه، وحديثه، أما الرجل الموسوعة فيصل لحمر الذي انتقل بين سطور العملية الإبداعية شعرا، ونثرا، ونقدا، فهو رائد قصيدة الهايكو، وقصيدة الأشكال الهندسية، وما الضجة التي أثارها مؤلفه الخيال العلمي إلا دليلا على على ذلك.

إن الدراسات النقدية المعاصرة أولت أهمية بالغة بالإبداع المعاصر خاصة رواية الأزمة نذكر منهم الناقد شريف حبيلة من خلال مؤلفه الموسوم أزمة العنف في الرواية الجزائرية، حيث فرد جزء خاصا من كتابه للحديث عن أبعاد تيمة العنف في النص، واستنطق دوافع الكتابة، والعملية الإبداعية، واستحضر حضور المرأة، حيث نبه إلى علاقة الكاتب بالنص من منطلق السيرة الذاتية للمبدع، كما حاصر

*المؤلف المراسل.

الكتابة الروائية في مقصدها، واستطاع أن يحدد المعالم التركيبية من خلال استدراج الزمن، والشخصيات، والحبكة الفنية لتحقيق مبتغى المبدع قبل القارئ.

اهتم مخلوف عامر أيضا بتحديد نقاط التشارك بين كتاب الرواية في هذه الفترة، وحصر مضمونها بين الضحية، والجلاد، والأيديولوجيا السياسية، والدينية، وهي أيديولوجيا عميقة محكومة بالكثير من التشعبات، واهتم كذلك بالتاريخ كإحالة ضمنية للتعبير عن حدود الهوية، وتمظهراتها، وتجلياتها في الكتاب (قحام، 2022/2021 ، ص: 2) وبالعودة إلى رواية الأزمة فقد يعيب على النقاد عدم قدرتهم على تبسيط المفاهيم النقدية للنظريات الجديدة والدفع بها إلى ساحة الإبداع، فكان أن جاء التطبيق منعدم، أو يكاد فعجزوا عن دمج الأنا، وتماثلها مع حياة الآخرين وفق العمل على تحسين ظروف الأداء لأن (الأدب ليس إنشاء يحفظ، أو يتوارث، أو يلقن، ....، وليس القول الأدبي رصفا قواعديا للمفردات، أو تواليا خطيا للألفاظ، بل هو حجم، وفضاء في الدلالات التي يولدها انتظامه) (الزعبي، 1986، ص: 227)، فالنص الأدبي مثل الجسد به روح مبدعها، وروح مجتمعه، ثم روح المتلقي بعد أن ينتج نصا موازيا له يراعي السياقات الثقافية، والبنى الداخلية للنص.

لحظة انتقال الممارسة النقدية الجزائرية للنص تبحث منذ اتصالها به في هويته، حيث تتجاوزه بالتركيز.

على المعطى الثقافي، والاجتماعي، والأنثروبولوجي، ويطرح مسائلة ثقافية تتعالق فيها العناصر الثلاث الرئيسية: المؤلف، النص،

*المؤلف المراسل.

المتلفي (فعلى هذا العالم أن يسترجع ما أخفاه ليكون دليل نفسه مع نفسه) (دريدا ، 2006، ص: 7).

فالبحث عن المخفي، والمسكوت عنه يعني بالضرورة عثور الإنسان على نفسه من خلال ترجمة النص، وتفكيك ألغازه.

يكشف الناقد، والدارس الجزائري أثناء تعاطيه مع المتن الروائي الجزائري على تيمة التاريخ كأحد أهم مكوناتها ليخفي وراءه الممنوع من التداول، والنشر، وهذا ما استقطب جيل الروائيين والنقاد المعاصرين كواسيني الأعرج والحبيب السايح، وبشير مفتي وغيرهم أين استغلوا التاريخ للدعوة إلى حوار الأفكار، لأن توظيف التاريخ هو استدعاء للذاكرة يقدم بها رؤية مخالفة للعالم، وفي هذا المضمار تقول الباحثة أمنة بلعلى (تثير علاقة الرواية بالذاكرة، والهوية عدة إشكالات يتحكم فيها مبدئيا الإقرار بأن الرواية إذا لم تكن أمامها ذاكرة، وهوية فإنها تصنع لنفسها ذاكرتها الخاصة التي تؤسس كينونتها، ولعل ارتباط الرواية العربية بالتاريخ بدء بما يسمى الرواية التاريخية مع جورجي زيدان مرورا بإعادة كتابة التاريخ الفرعوني مع نجيب محفوظ...حتى أصبحت الرواية، والتاريخ، والهوية علاقة مركبة لا يمكن الحديث عن مكون، إلا وجر معه المكون الآخر) (بلعلى، 2023، ص: 1).

وعلى العموم لا يوجد كاتب واحد، أو ناقد لم يتحدث عن تيمة الهوية، وارتباطها الوثيق بالتاريخ، وقد وقف عند هذا المعطى الناقد مخلوف عامر في كتابه: الهوية، والنص السردي أين ركز على الهوية الثقافية ذات المكون التاريخي والأيديولوجي، والأنثروبولوجي، حيث (يجعل الروائي يختبر الفعل الإبداعي الجديد عبر العودة إلى بعض

*المؤلف المراسل.

إحداثيات التاريخ، ومكونات المجتمع الهوياتية، وتراثه السردي، وملائمة الشعبة التي تعود بجذورها في التراث الروائي الجزائري إلى تلك التجربة المفصلية التي دشنها الأعرج واسيني في نوار اللوز تغريبة صالح بن عامر الزوفري كمرجع نظير يحيل إلى رغبة الروائي العربي في استدعاء التراث السردي، ومنحه بعدا معاصرا) (بن ساعد، 2021، ص: 24).

وللتذكير فإن النقاد الجزائريين درسوا تيمة الهوية بطريقة تشبه المفهوم الذي أتى به الناقد الهندي هومي بابا في النقد الما بعد الكولونيالي.

خاتمة:

خلاصة القول فإن الحركة النقدية الجزائرية تستمد شرعيتها من الذاكرة المشحونة بشحنات فكرية تحتاج فقط إلى منبه معرفي لتباشر تأثيرها.

البقاء للأصلح، والأقدر على تكوين هوية ثابتة لا يخترقها التباين الذي لا يصنع هوية بديلة، بل يقضي عليها.

الخصوصية الثقافية، والاجتماعية، والحضارية لا يعني عدم الانفتاح.

الإبداع يعمل على تحقيق الوعي الجماعي، ويشرعنه من أجل إثبات هوية حقيقية.

مكون اللغة عنصر أساس في تحديد الهوية، والبناء الثقافي.

يساهم النقد البناء المقنن في ولادة نص مرتبطة جذوره بالتراث، ومطلة على كل جديد.

قائمة المصادر والمراجع:

*المؤلف المراسل.

1- إدوارد سعيد. (1997). **الثقافة والإمبريالية**. (كمال أبو ديب، المترجمون) بيروت: دار الآداب.

2- آلان تورين. (2010). **نقد الحداثة**. (محمد سبيلا، المحرر، وعبد السلام الطويل، المترجمون) المغرب: افريقيا الشرق.

3- باختين مخائيل. (1985). "المتكلم في الرواية". (محمد برادة، المحرر) **مجلة فصول**، 5.(3).

4- بارث رولان. (1989). **نظرية النص**. (عبد الرحيم الرحوتيالمترجمون) باريس .

5- باعيش لمياء. (2012). **القص الما ورائي، واختراق الجدار الرابع في هروب البطل لمحمد الرطيان**. الجزيرة الثقافية.

6- بايار جان فرانسوا. (1998). **أوهام الهوية**. (حليم طوسون، المترجمون) القاهرة: دار العالم الثالث.

7- بتقة سليم. (12 3, 2014). **الرواية الجزائرية سرد الهوية، ورهانات الكتابة**. ندوة حول الهوية في الأدب الجزائري.

8- البصير حمد. (1986). **الموقف الثوري في الرواية الجزائرية المعاصرة 1970-1982**. ماجستير. الجزائر، جامعة الجزائر.

9- بلعلى آمنة. (133 12, 2023). "عن الهوية، والذاكرة في الرواية الجزائرية". **جريدة النصر**.

10- حجار الطاهر. (د س ن). **الأدب، والأنواع الأدبية**. دمشق: دار طلاس للنشر.

11- دريدا جاك. (2006). **أطياف ماركس**. (منذر عياشي، المترجمون) حلب: مركز الإنماء الحضاري.

12- دهام سالم عايد .(2020, 5 1) . https://www.ammonnews.net/article/533997. تم الاسترداد من https://www.ammonnews.net.

13- الركيبي عبد الله. (1983). **القصة الجزائرية القصيرة**. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

14- الزعبي أحمد. (1986). **في الإيقاع الروائي نحو منهج جديد في الدراسة البنية الروائية**. عمان: دار الأمل.

*المؤلف المراسل.

15- سعدي براهيم. (2000). "صورة الأنا والآخر في المجتمع الجزائري". **مجلة السين**.(14)

16- شاوش محمد محمود. (2007). **نحو ثقافة تأصيلية (البيان التأصيلي)**. بيروت، سوريا: الدار العربية للعلوم، نينوى، للدراسات والنشر والتوزيع.

17- بن صالح نوال. (1 04, 2011). "الرّواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وثورة التّحرير صراع اللّغة والهوية". **مجلة المخبر**، 8.(1).

18- طعيمة رشدي أحمد ، ومحمود كامل الناقة. (2009). **اللغة العربية، والتفاهم العالمي - المبادئ والآليات**. الأردن: دار المسيرة.

19- عثمان عبد الفتاح. (1993). **الرواية العربية الجزائرية، ورؤية الواقع**. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

20- علوش سعيد. (1983). **الرواية والايديولوجيا في المغرب العربي**. بيروت: دار الكلمة للنشر.

21- الغنيمي هلال محمد. (1955). **في النقد المسرحي**. مصر: دار النهضة.

22- قحام توفيق. (2022/2021). **محاضرات في النقد السردي الجزائري**. محاضرات لطلبة سنة أولى دكتوراه. جامعة جيجل.

23- قلولي بن ساعد. (13 42, 2021). **الرواية أرض التعدد، والهوية يتنازعها منظوران في الجزائر**. النصر.

24- كونديرا جوزيف. (1998). **قلب الظلام**. (سمير بارد ، المترجمون) بيروت.

25- مرتاض عبد المالك. (1983). **نهضة الأدب العربي في الجزائر (1925-1954)**. الجزائر.

26- معلوف أمين. (د س ن). **الهويات القاتلة**. (نهلة بيضون، المترجمون) دمشق: دار الجندي للطباعة، والنشر.

27- مفتاح محمد. (2000). **من القراءة إلى التأويل**. المغرب: شركة النشر والتوزيع.

واد حسين. (د س ن). **في مناهج الدراسة الأدبية**. سراس للنشر.

*المؤلف المراسل.